

من دقائق إعجاز القرآن للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

قت أجمع ما تفرق في مكتبتى من أعداد (الرسالة) ، فإذا بعدد منها غلافه لم يقصّر هو العدد (٤٤١) . فضضته وجعلت أقرأ ما استرغاني من فهرسه ، فبدأت بما كتبه الأستاذ أحمد صفوان بعنوان « غلطة مفسر كبير » ، وإذا بالمفسر الكبير هو الإمام أبو بكر بن العربي ، وإذا به يورد من سورة التوبة آية على غير نصها ، فأبدل كلمة مكان كلمة — غير عامد طبعاً — وجعل يفسر الكلمة التي أبدل كأنها هي الكلمة التي أنزل الله . والآية القرآنية هي : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) . فجعل الإمام أبو بكر « لا يعلمون » مكان « لا يعلمون » وطفق يفسر ويعمل لما ذا نفى الله عنهم العقل ... إلى آخر ما روى له الكاتب الفاضل الذي نبه إلى هذه النقطه الفتنه

والنقطه في ذاتها مألوف مثلها في التلاوة حين يتلو الحافظ غير للتمكن عن ظهر غيب تلاوة من لا يتتبع المعنى ولا يتفقه وهو قراء . لكنها غلطة نادرة من مفسر إمام مفروض أنه يستوثق من النص قبل أن يبدأ التفسير . لكن الإمام أبو بكر ابن العربي غفر الله له اعتمد على ذاكرة فيما يظهر ثغافته هذه اللفظة ، وكان حسن الظن بحفظه فيما يبدو فلم يسترعه أى تفاوت في المعنى يحمله على الرجوع إلى المصحف لتأكيد من النص

والواقع أن أمثال هذه النقطه من إمام مفسر ، وبُعد ما بين للمعنى على أصله والمعنى بسد تحريفه ، من أقوى الدلائل عندى على أن القرآن ليس من عند بشر وأنه من عند خالق البشر ، فشتان بين المعنى لو كان النص كما أورده ابن العربي وبينه كما ورد في القرآن الكريم . شتان بين تحليل أمر الله نبيه أن يهجر المشرك حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه بأن للمشرك لا يعقل ، وبين تحليل ذلك بأن للمشرك لا يعقل . فن المقول من الحكمة أن يجار المشرك الذي لم تبلغه الرسالة حتى تبلغه على وجهها بسماع كلام الله ، ثم من المقول ومن الحكمة بعد إذ سمع كلام الله أن يبلغ مأمنه

ويترك لنفسه ليتدبر ما سمع بعقله غير مروع ولا خائف ، ثم هو بعد ذلك وما يختار لنفسه ، فإذا دخل في الدين دخل غير مكره ، وإذا لم يدخل لم يدخل عن اختيار ، ولكل جزأه ، وإن دخل كان أخا في الدين لجميع المسلمين ، وإن لم يدخل كان عدواً ينفذ فيه ما أنزلت سورة براءة من أجله . لكن المهم أن مدار ذلك جعله الله سبحانه على علم المشرك الدعوة أولاً ، ثم على إعطائه فرصة لتدبرها في أمن وحرية تانياً . فالعلم بالدعوة على وجهها كما يدل عليه قوله تعالى (حتى يسمع كلام الله) ، وتدبر الدعوة في حرية وأمن كما يدل عليه قوله تعالى (ثم أبلغه مأمنه) ، هاركتان للدعوة الإسلامية يدل عليهما دلالة واضحة العلة التي بنى الله سبحانه عليها أمره في قوله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) وإذا عرفت الآيات قبل هذه الآية وما تأمر به من تأجيل المشركين أربعة أشهر يسبحون في الأرض ، حتى إذا انسلخت الأشهر الحرم — والسورة العزيزة نزلت وتليت على الناس في الحج وفيه الشرك والمسلم — قُتل المشركون بكل وجه وقصد لهم كل مرصد ، إلا أولي العهد فيوفى لموفين منهم عهدهم إلى ملتهم : إذا عرفت هذا عرفت الحكمة البالغة الكامنة في ذلك التعليل الإلهي لتلك الأمر الإلهي

إن ذلك التعليل مظهر من مظاهر العدل الإلهي في الدين والرحمة في الدعوة ، إذ ما كان الله ليأمر بقتل حتى المشرك قبل أن يدعى إلى الله دعوة مؤثرة . وأشد الكلام تأثيراً في نفس العربي هو كلام الله العربي المنزل ، لتلك أمر الله نبيه حين أراد تطهير الأرض من الشرك أن يهجر المشرك حتى يسمع كلام الله . ثم ما كان للمشرك ليقتل حتى يأنس إلى كلام الله ، بعد سماعه ، مدة قد يجد فيها كلام الله إلى نفسه سبيلاً . وهذا ليس من العدل قطعاً ، بل من الرحمة والحكمة ؛ وهو في ذاته دليل على أن هذا الأمر للنبي هو من عند خالق النفس وعالم ما هي وما فطرت عليه . فقد علم الله سبحانه بعد ما بين الدعوة إلى الإسلام وبين ما نشأ المشرك عليه ، وعلم أنه إن كان في المشركين من أوتى من صفاء العقل ما يدرك به عند سماع الدعوة فضل ما بينها وبين ما هو عليه ، فيستجيب لها غير متردد ، ويدخل في الإسلام غير مسوف ، فإن في المشركين أيضاً الرَجُل العادي وهو سوادهم :

المؤمنين منبأ عن الناقضين : (لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قري
محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد ، تحسمهم جميعاً
وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ، هي هنا من كلام الله
سبحانه . وهي حيث أحقها الإمام ابن العربي في آية التوبة غير
قاصد ولا عائد من غير كلام الله ، بل لقد أفسدت من المعنى . فاعجب
إذن لكلام إذا التبس الأمر فيه على الإنسان العاقل العالم فأبدل
كلمة أو كلمات مكان أخرى تشبهها فقد صبغته وخرج من حيز
الإعجاز إلى حيز غير الإعجاز

ذاك مثال من أمثلة دقة الإعجاز في القرآن . ومن غريب
المصادفة أتى وجدت في نفس العدد من الرسالة مثلاً آخر ، إذ
وجدت غلطة أخرى في آية أخرى لرجل من رجال العربية المحدثين
له إيمان وقين إلا أنه لم يقع في غلطته في معرض تفسير القرآن ،
قد قرأت في العدد نفسه من الرسالة مقال أخى عبد المنعم خلاف
(الحياة صادقة) وإذا فيه :

« إن الحياة هي كلمة الله النافذة إلى القلوب لا يحبسها إلا من
يحملها بأعبائها ثم يحاول أن يسلمها لغيره ، وقد أودعها الله قلب آدم
(فجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم يرجعون)

والآية ليست بالقاء في أولها ولكن بالواو ، لكن لعل القاء
جاء بها لربط الكلام بالفتب من الآية فأدخلها الطابع في القوس .
إعما موضع النقد الكبير والاستدراك هو ما دخل على آخر الآية ،
فليست الآية (إلى يوم يرجعون) ، ولكن (لهم يرجعون) .

ومن هنا يبدو لأول وهلة الفرق في المعنى بين الصيغتين ، ويبدو
ذلك بصورة أوضح إذا عرفت سياق الآية الكريمة (وجعلها كلمة
باقية في عقبه لهم يرجعون) في موضعها من سورة الزخرف

فلنأخذ في الفرق الأول : الأستاذ عبد المنعم خلاف يريد يوم
يرجعون يوم الحشر ، فهو يقول إن الحياة باقية في عقب آدم إلى
يوم الحشر ؛ ومن هنا يظهر بُعد هذا المعنى عن الواقع ، لأن الحياة
كما يعلم الأستاذ ستزول عن عقب آدم قبل يوم الحشر بأمد لا يعلمه
إلا الله ، فسيشمل الموت بنى آدم فترة يظن أن تكون طويلة كما
جرت المادة في أيام الله في الخلق ، ثم بعد ذلك يكون البعث ويقوم
الناس ، والآيات متظاهرة على ذلك ، لكن يكفى هنا الاستشهاد

بنفسه مما لم تألف ، ونكون له كبوة عند الدعوى مهما بلغ
فضلها من الوضوح وبلت هي من الإشراق . فلو أخذ الشريك
بأول رأيه أو شعوره عند سماع كلام الله لكان نصيب أكثر
المشركين القتل . لكن الله سبحانه أجلهم حتى يأنسوا بكلامه
ويتدبروه ويتذكروهم ففندت تكبر فرصة استجابتهم له بعد
أن يزداد فهمهم إياه ، ويحول النفور الأول الناشئ عن مخالفة
الدعوة للوفهم على وضوح خطئه وصوابها ، وضعته وشرفها .
وفعلاً تحققت حكمة الله ودخل المشركون في دين الله أفواجا .

والمهم ملاحظة أن المشركين ما كانوا ليدخلوا كما دخلوا
في دين الله أفواجا لو كان المانع لهم من قبول الدعوة أو الأمر قلة
العقل بدلاً من قلة العلم ، فالعاقل الذي لا يعلم مرجو أن يستجيب
للحق إذا زال جهله به ، وأعطى فرصة لتدبر ما دعى إليه . لكن
لا رجاء في استجابة من لا يفكر ، أو من كان على حال من الإصرار
والعناد يحول بينه وبين قبول الحق وينزله منزلة من لا يفكر .
فالحكمة واضحة في تأجيل من لا يعلم حتى يتدبر ما علم .
لكن أى حكمة هناك في تأجيل من لا يفكر ، وهو مهما علم
لن يفقه لأنه ليس لديه عقل يفقه به ، وتأجيله إلى أجل طال
أو قصر لن يؤتيه ذلك العقل ؟ إن الفرق هائل بين قول الله سبحانه
(ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) وفي موضعها من الآية الكريمة
من سورة التوبة ، وبين قول ابن العربي في نفس الموضع (ذلك
بأنهم قوم لا يفقهون)

والغريب العجيب أن الجملة « ذلك بأنهم قوم لا يفقهون »
هي مما أنزله الله في مواطن أخرى من القرآن . فهي في موضعها من
القرآن الكريم من كلام الله سبحانه لها كل ما لكلام الله سبحانه
من روعة وجلال وإعجاز . فلما نقلها الإمام أبو بكر بن العربي
خطأ أو سهواً عن موضعها التي نزلت فيه إلى غير موضعها في تلك
الآية من سورة التوبة أصبحت من كلام البشر لا من كلام الله ،
ولم تتلاءم مع بقية الآية التي هي من كلام الله ، كالرجل أو العين
الصناعية شتان بينها وبين الطبيعية ، أو كالمعضو المنقول
— لو أمكن النقل — إلى غير موضعه من جسم الإنسان
أنظر إليها في موضعها من سورة الحشر في قوله تعالى يخاطب

سيكون منهم قريط في توابع الإيمان ومستلزماته ، وإن شئت قل في حقيقة الإيمان ، وأن كلمة الإخلاص والتوحيد ستكون دائماً فيهم منذرة ومبشرة وداعية لإمام إلى الله وإلى إقامة شرع الله الذي قام على التوحيد ، وأنها ما دامت فيهم فسيبرجى لهم ومنهم الخير

فانظر إلى جيش الماني هذا الجائش من كلمة واحدة هي كلمة (لهم) في موضعها من الآية الكريمة ، وإلى التفاوت البالغ الطارىء على المعنى حين اعتمد الأستاذ عبد المنعم على ذاكرته من غير رجوع إلى المصحف للاستيثاق من النص ، فأبدلته ذاكرته من «لهم يرجعون» «إلى يوم يرجعون» . وخرج الكلام بهذا التبديل اللطيف في ظاهره من دائرة الأحكام

هذان مثلاً يوضحان مقدار ما أودع الله في القرآن من أحكام زول إذا امتدت يد أو عقل أو ذاكرة إليه بأدنى تشيير أو تحريف أو تصحيف . ولو تتبع نال القرآن إلى ما يسبق إلى لسانه من غلطات أثناء التلاوة ، وتذكر بعد ما بينها وبين النص كما أنزل الله سبحانه ، لوقف من كل مثل على مثال جديد لإحكام القرآن ، وحجة جديدة لإعجاز القرآن

محمد أحمد الفخراني

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأمان الآتية :
التي الأولى في مجلد واحد ٧٠ قرشاً ،
و ٥٠ قرشاً عن كل سنة من السنوات : الثانية
والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة
والثامنة والتاسعة في مجلدين . وذلك عند أجرة
البريد وقدره خمسة قروش في الداخل وعشرة
قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج
عن كل مجلد .

بقوله تعالى : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله . ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) . فالحياة ليست باقية في عقب آدم إلى يوم يرجعون في المعنى الذي أورده أخونا عبد المنعم ، ولا كلمة التوحيد باقية في عقب إبراهيم إلى يوم يرجعون إذا أخذنا لفظ الأستاذ عبد المنعم وطبقناه على ما أخبرنا به الله سبحانه عن سيدنا إبراهيم في القرآن إن النص القرآني بتمامه هو :

(وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لهم يرجعون) ، وهنا يتبين أي فرق في المعنى دخل على الآية الكريمة يجعل كلمة « إلى يوم » مكان كلمة « لهم » . فالمعنى القرآني أن إبراهيم صلوات الله عليه — أو الحق سبحانه ، والآية تحتل للمعنيين — جعل كلمة البراءة مما يُعبد من دون الله باقية في عقب إبراهيم لهم يرجعون عن عبادة ما سوى الله ، إن كانت الكلمة هنا هي الدعوة إلى التبرؤ مما سوى الله ، أو يرجعون إلى ما تستلزمه كلمة التوحيد من أحكام ، وعن كل ما ينافيها من سلوك ، إن كانت الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام هي كلمة التوحيد . ووجود كلمة التوحيد بين العرب وسائر المسلمين هو من غير شك مناط الأمل وموضع الرجاء أن ينتهوا يوماً ما إليها وإلى ما تستلزمه من إقامة دين الله ، ومن إسلام الوجه والقلب إلى الله ، وجعل الصلاة والتسكُّ والحيا والمات (لله رب العالمين لا شريك له) كما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول : « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

فكلمة (لهم) فيها ما فيها من التبرجى ، وفيها ما فيها من التذكير . لكن كل ذلك يتغير ويذول إذا قيل : « إلى يوم يرجعون » بدلاً من « لهم يرجعون » ؛ إذ تصيح الآية إخباراً عن بقاء الإيمان والتوحيد في ذرية إبراهيم عليه السلام إلى يوم البعث ، ولم يخبرنا القرآن بشيء كهذا . أما « لهم يرجعون » فتشعر بأن سيكون من عقبه عليه السلام طائفة غير مؤمنة يرجي أن تصير بالطائفة المؤمنة من عقبه وترجع معها إلى الله . لكن أكبر دلالتها — والله أعلم — أن المؤمنين من ذرية إبراهيم

حكم في القضية ١٣٧٤ هـ بمكره غلط سنة ١٩٥١ هـ ضد حميد محمد زيدان
برامة ١٠ جنيه والنشر بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ هـ وذلك ليتم إيراد
بشر أكثر من المهد